

## خطة E-1 وسواها من الكوارث النازلة بالقدس\*

شارمين زابيتس\*\*

لم يزل جف هالبر، مدير اللجنة الإسرائيلية المناهضة لهدم المنازل، يتكلم على خطة E-1: وهي خطة إنشائية لملء القدس العربية الشرقية بالصناعات والمساكن اليهودية، منذ أكثر من عقد من الزمان. لكن أحداً لم يولِ كلامه كبير انتباه حتى نيسان/أبريل الأخير حين تجرأت السلطات الإسرائيلية على إعلان خططها للإعمار هناك. وقد أوضحت الولايات المتحدة عدم رضاها فوضعت الخطة مؤقتاً على الرف، إلا إن المخطط التوجيهي لا يزال هو السياسة الرسمية في بلدية القدس. وإذ يتذكر كثيرون النمو الهادئ لمستعمرة هار حوما (جبل أبو غنيم) بين القدس وبيت لحم، فإن عدداً قليلاً منهم يتوقع أن تظل عمليات البناء متوقفة.

من شأن خطة E-1، التي تغطي 12 كم<sup>2</sup>، وتشمل المنطقة المجاورة لمستعمرة معاليه أدوميم (53 كم<sup>2</sup>، أكبر من مدينة تل أبيب) أن تغلق المساحة الخالية الأخيرة المتاحة لنمو القدس الفلسطينية. كما أن من شأنها أن تخلق حاجزاً استيطانياً يجعل من المستحيل على الفلسطينيين القادمين من شمال الضفة الغربية أن يصلوا إلى القسم الجنوبي من الضفة الغربية من دون شق طريق جديدة. وتعرض إسرائيل بناء هذه الطريق الكبيرة من أجل إيجاد "تواصل بالموصلات" (Transportation Continuity) للفلسطينيين؛ وهي عبارة أطلقها رئيس الحكومة أريئيل شارون. لكن الأثر الأكبر سيكون فرض مشهد مادي وثقافي يهودي إسرائيلي يحول قانونياً وثقافياً دون نمو الإعمار الفلسطيني.

ويشرح هالبر قائلاً: "حتى وإن استطعت أن تقود سيارتك حول القدس، فسيكون من الممكن سلخ القدس عن الدولة الفلسطينية." قبل فرض إسرائيل نظام الأذونات والإغلاقات الذي يحد دخول الفلسطينيين إلى القدس منذ أوائل تسعينيات القرن العشرين، كان 40% من الاقتصاد الفلسطيني، بحسب دراسة للبنك الدولي، يدور حول القدس، لكن النمو المتدرج لمعاليه أدوميم وسواها من مستعمرات القدس، والإعمار المرتقب ضمن خطة E-1، وحاجز الأسمت والأسلاك الشائكة الذي ستنجزه إسرائيل هذه السنة، سوف تعزل الفلسطينيين بصورة نهائية عن هذه المدينة.

وللدلالة على ذلك، يرافق هالبر الصحفيين والدبلوماسيين إلى رأس تلة تشرف على مستعمرة بسغات زئيف. ونستطيع من هناك أن نشاهد بلدة حزما الفلسطينية التي صودرت أراضيها لبناء بسغات زئيف، وحدود بسغات زئيف المرسومة بحيث تستبعد سكان حزما. البلدة الفلسطينية مطوقة من الجهات كافة؛ فإلى الغرب منها هناك نفي يعقوف سكانها الثلاثين ألفاً، وإلى الشمال آدم، وإلى الشمال الشرقي مستعمرة ألمون الحديثة جداً، المعلن عنها بملصقات على الطرق.

ويتوقع هالبر أن "يحصل الفلسطينيون على دولة، لكنها دولة لا إمكانات فيها للنمو على الإطلاق. تصوّر أنك تدخل سجنًا في بلدك وتطلب الاطلاع على مخطط هيكلي للسجن. ستجد لدى النظر إليه أن السجناء يسيطرون على 95% من الأرض. إنما في وسعك السيطرة الكاملة على النزلاء باستعمال واحد 1% - 5% من الأرض إذا ما استخدمت القضبان، وأبراج الحراسة، والسيارات، والأسلحة."

إن خطط E-1 رومانسية بصورة تتناقض تماماً مع هذا التقويم المتجهم. فالنتاج النهائي سيشتمل على مطار، وفندق خمس نجوم، وشاليهات تحيط ببحيرة اصطناعية (تذكر: إن هذه الأرض مقفرة). وستعتبر هذه المنطقة المحجة السياحية الجديدة في الشرق الأوسط والقادرة على اجتذاب الأوروبيين والعرب الأثرياء. ولا يقوم حالياً إلا

عدد قليل من الإنشاءات في المنطقة المخططة. البلدية بدأت، في سنة 2004، بإرساء البنى التحتية المطلوبة لهذا المشروع الضخم. وقد تم العمل، فيما يروى، بصورة "غير قانونية"، من دون موافقة السلطات.

يجب النظر إلى خطة E-1 ضمن سياق اندفاع إعمارية ضخمة داخل القدس الشرقية ومن حولها. وقد أعلنت إسرائيل في كانون الأول/ديسمبر الماضي إنشاء مدينة جديدة على أراضي قرية الولجة، التي تقع بين حدود بلدية القدس وجنوب الضفة الغربية. وستضم المستعمرة الجديدة 55.000 نسمة (تقع "بصورة مناسبة" بالقرب من حديقة الحيوانات والسوق التجارية الكبيرة)، وقد يستلزم إنشاؤها هدم قرية الولجة بكاملها.

لقد علقت خطط هدم 88 منزلاً في قرية البستان المجاورة، الواقعة في وادي سلوان المحاذي لحائط البلدة القديمة في القدس، في وقت سابق من هذه السنة بعد تصاعد الاستنكار العالمي. غير أن أوامر الهدم ما زالت جزءاً من المخطط التوجيهي العام لمدينة القدس. ويسوغ المسؤولون الإسرائيليون عمليات الهدم محتجين بأن كثيراً من هذه المباني شُيدت من دون التراخيص المناسبة (علماً بأن عدداً لا يستهان به منها سابق على صدور هذه القوانين). لكن لما كانت طلبات التراخيص التي يتقدم بها الفلسطينيون من أجل البناء ترفض بصورة منتظمة، فإن هذا النقب القانوني يحاول إخفاء نظام من التمييز العنصري.

ويحتج المهندس المدني أوري شيتريت بأن الأرض التي حُطت لها أن تكون مكاناً عاماً، قد اعتبرت موقعاً أثرياً، ولذلك لا بد من هدم المنازل الفلسطينية. "هذه المنطقة هي المهد الذي انبثقت منه مدينة داود. كان هذا الوادي تاريخياً مكاناً مكشوفاً، مكاناً أخضر مملوءاً بالكنوز الأثرية، وأنا أعتبر أن من واجبي المهني أن أحميها"، وفق ما قال شيتريت لصحيفة "لوس أنجيليس تايمز". وتعترم المخططات التوجيهية إنشاء قرية أثرية بديلة من منازل الفلسطينيين - وهنا يستعمل علم الآثار لإقامة المشهد الذي من شأنه أن يدعم علم الآثار<sup>(1)</sup> وهناك في قرية البستان 50 منزلاً فلسطينياً على الأقل استولى عليها أفراد من مجموعة إعاد الاستيطانية المتطرفة.

إن مروراً سريعاً بشوارع معاليه أدوميم المنظمة جيداً، يظهر كيف أن أصغر موطئ قدم إسرائيلي يمكن أن يستغل لإعادة تركيب المشهد، بل حتى التاريخ. ففي مقابل مخفر الشرطة تماماً، في قلب حوض منضد على هيئة نجمة داود، غرست شجرة زيتون كثيرة العقد ينوف عمرها عقوداً على عمر المستعمرة. ولا شك في أن هذه الشجرة، مثل كثير غيرها مما غرس هنا، قد اقتلعت في أثناء عمليات سلب الفلسطينيين الذين اعتنوا بهذه الأشجار حتى بلغت أشدها. فقد باع المتعهدون الذين جرفوا الأراضي الفلسطينية لتمهيد الطريق أمام الحائط الأسمنتي مئات من هذه الأشجار في السوق السوداء. وبعد بضعة أعوام على إقامة معاليه أدوميم ستصبح شجرة الزيتون هذه جزءاً من قصة جديدة تدعم شرعية هذه المستعمرة الإسرائيلية المتنامية التي توسع حدود القدس، وتعزز ماضيها الخيالي المختلق. ■

(\*) المصدر: *Jerusalem Quarterly*, no. 24 (Spring 2005), pp. 33-38.

ترجمة: حسني زينة.

(\*\*) مديرة تحرير مجلة *Jerusalem Quarterly*.

(1) حتى الآن، وعلى الرغم من بعض المكتشفات الأثرية المتفائلة وبعض التلفيق الثابتة، يبقى العهد القديم

من الكتاب المقدس الشهادة الواضحة الثابتة على وجود مملكة داود أو سليمان.

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: [majallat@palestine-studies.org](mailto:majallat@palestine-studies.org)  
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعتها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:  
[http://www.palestine-studies.org/ar\\_index.aspx](http://www.palestine-studies.org/ar_index.aspx)